فهد العسكر
والنفي الذاتي

يؤكد علماء النفس أن الغربة ألوان مختلفة..فهناك الغربة عن الوطن بالجسد والروح.. وهناك الغربة الذاتية.. وهى تمثل النفي الاختياري والعزلة احتجاجاً أو يأساً أو تمرداً.. وهناك الغربة بالروح فقط.. والغربة بالجسد فقط.. وهكذا.

وشاعرنا الآن حاول أن يغير مجتمعه.. وحاول أن يسقط بعض التقاليد التى تحمل التخلف.. لكنه ووجه بقسوة بمن يتهمه بالخروج والمروق.. ولم يجد مخرجاً سوى الاعتزال راضياً بأن يكون صاحب قلم وموقف بين جدران بيته.. كما فعل من قبل جده أبو العلاء حين اعتزل الناس.. وفضل أن يكون حبيس بيته وعماه.

لقد ولد فهد العسكر عام 1917 فى أسرة كويتية متدينة بسيطة.. حيث كان والده إماماً لأحد المساجد وكان أيضاً يعلم القرآن للصبية.

ولم يكن فهد بعيداً عن هذا المناخ الدينى فى طفولته.. فقد كان يذهب فى صحبة والده إلى المسجد ليؤدى الصلاة ويقرأ القرآن.

وبدأ الفتى يعشق الشعر والأدب والسير الشعبية.. وبدأ بكتب الشعر والأناشيد.

ونظر فهد إلى المجتمع من حوله فقرر التمرد على واقع هذا المجتمع ومحاولة إسقاط القيم المتخلفة والفاسدة.

ومن ثم قرر فهد العسكر إعلان ثورته على تقاليد المجتمع ووضع المرأة والعادات الموروثة المتخلفة.. وأن يعبر عن هذا كله بالشعر.. وهنا تبدأ

معاناة الشاعر.. حيث وجد المقاومة العنيفة من المتزمتين والمحافظين على قيم هذا التخلف.

وكان التشبيب بالمرأة من الأمور المحظورة فى المجتمع.. لكنه أصر أن يبدأ بهذا الغزل الذى يعطى المرأة وضعها وقدرها أمام الرجل.

ويبدأ فهد قوله هكذا:

ليلى تعالى زودينى

قبل الممات وودعينى

ليلاى لا تتمنعى

رحماك بى لا تخذلينى

ليلى تعالى واسمعى

وحى الضمير وحدثينى

ودعى العتاب إذا التقينا

أهواك فى رفق ولين

ويثور فى وجهه رجال الدين ويتهمونه بالخروج على التقاليد والأخلاق والقيم بل بالمروق والزندقة.. وتصل هذه التهم فيما بعد إلى الكفر والإلحاد.. ويكاد يقام عليه الحد.

ترى ماذا يفعل الشاعر أمام هذه القوى المحاصرة ؟..

إنه لا يستطيع أن يتوقف عن إبداع الشعر..

ولا يمكنه أن يتوقف عن التعبير عن مشاعره..

ويقول عنه الأديب عبد الله زكريا الأنصاري:

(وجد نفسه منبوذا من أهله الذين لا يؤمنون بما يؤمن به من مبادئ لا تتناسب وطبيعتهم.. ومن الناس الذين ينفرون من هذه الآراء المتطرفة التى يرددها على أسماعهم بل ويتغنى بها فى أشعاره.. وكلما أمعن فى التحرر والانطلاق وجد نفسه بعيداً عن مجتمعه.. الأمر الذى زاد من حساسيته.. وضاعف من إرهاف شعوره)

ويصرخ فهد العسكر قائلا:

فأنا شاعر خلقتُ لأشقى

لا لألقى سعادة وفلاحا

خار عزمى مذ صارعتنى الليالى

ثم ألقيت رغم أنفى السلاحا

وكان فهد قد قرر إلقاء السلاح.. لأنه وجد أن نضاله من أجل التغيير والإصلاح بدون جدوى.

لكنه ألقى سلاحه بطريقته الخاصة.

لقد ألقاه خارج بيته.. لكنه قرر نفى ذاته ونفسه داخل جدران هذا البيت.. يتذكر ويكتب أشعاره.. ويحرقها أحيانا إذا أراد.. أي أنه هيأ لنفسه مناخاً (مغلقاً) من الحرية الخاصة وإن كان هذا نفيا اختياريا.. لكنه بدأ يشعر باستقلال ذاته وبعده عن متاهات الجهل والتخلف.

وتتضاعف محنته.. حينما كف بصره فى سنواته الأخيرة.. فأمعن فى الهروب من الناس.. ليظل مثل أبى العلاء رهين المحبسين: العزلة والعمى.

وفى هذا المنفى الخاص عاش على الذكريات والشكوى.. ترى لمن يشكو.. ولمن يتحدث.

إنه تارة يتذكر أمه فيحدثها من وراء الغيب قائلا:

أماه قد غلب الأسى كفى الملام وعللينى

الله يا أماه فىّ ترفقى لا تعذلينى

أرهقت روحى بالعتا بِ فأمسكيه أو ذرينى

أنا شاعر أنا بائس أنا مستهام فاعذرينى

ومرة أخرى يشكو إلى وطنه شعبه وقومه فيقول:

وطنى وما ساءت بغير بنيك يا وطنى ظنونى

أنا لم أجد فيهم خدينا آه .. من لى بالخدينِ

واضيعة الأمل الشريد وخيبة القلب الحنون

رقصوا على نوْحى وإعو الى وأطربهم أنينى

وتحاملوا ظلماً وعدوا ناً علىّ وأرهقونى

فعرفتهم ونبذتهم لكنهم لم يعرفونى

ومرة ثالثة يشكو إلى الليل فيقول:

يا ليل ضاقت بشكواى الصدور وما

ضاقت بغلّ وأحقاد وأضغانِ

فجئتُ أشكو إليك المرجفين وهم

لا درَ درّهمُ أسباب خذلانى

يا ليـل والـنفس غرثـى وهـى حـائرة

فهـــل بنجمـــك مـــن زاد لغرثـــانِ

وقد يتصور أحد أن الشاعر بعيد عن وطنه.. لكنه كان دائـم الإحـساس بـه محبا له.. يستثير الهمم كى يهب الناس مـن رقـادهم.. وهـو هنـا لم يكـن وطنـه الكويت فحسب ولكنه كان الوطن العربى كله.. ويعبر عن ذلك بقوله:

أبنـــاء يعـــرب والكـــوارث جَمَّـــةٌ

هيـــا انبـــذوا الأحـــقادَ والأضـــغاناَ

وتـــآلفوا وتكـــاتفوا وتـــساندوا

متراصـــفين.. وحـــرروا الأوطانـــا

ومرة أخرى يقول:

يـا بنـى العـرب إنـما الـضعف عـارٌ

أى وربـى ســلوا الــشعوبَ القويــة

كم ضـعيف بكـــى ونـادى فراحـت

لبكـــــاه .. تهقـــــه المـــــدفعية

لغــة النــار والحديــد هــى الفــصـ

ـــحى وحـظ الـضعيف منهـا المنيـة

وبالرغم من ذلك كله.. لم يتركه أهله ولا شعبه يعـبر عـما يريـد بحريـة لكنهم كانوا له بالمرصاد.. وصار الأمر عـداء بينـه وبـين مجتمعـه.. بحيـث رفض كل طرف الطرف الأخر..

ونجده يعبر عن هذه الحالة القاسية فى قوله:

مـاذا وراء الضــغـط إذ يشتدّ .. غير الانفـجـارِ

والله لـو يشـــفى انتـقا مى غلتى لأخذت ثارى

لصقوا الـمثالب لى وكل مثالبى عــدم اتجـــارى

أسفا علـى عمر تقـضـى بين أطـــــفال كــبار

بين المنافـق والمــخــادع والمداجـى والـمــدارى

متذئـبون .. ولـو ثغـت شـاةٌ .. للاذوا بالفـــرار

ويقبل أهله عاتبين ومهددين..بل وصل بهم الأمر أن أحرقوا أشعاره بين يديه.. ليحترق قلب الشاعر بألسنة النيران المشتعلة..

ويشعر الشاعر بأن الحياة صارت بلا جدوى..

لقد كرهه وحقد عليه الحاقدون.. وظلمه أهله وانتقموا منه..فلا يجد مفراً من رثاء نفسه:

احفـروا لى قـبراً عـلى شـاطئ البحـــ

ـــر ســميرى فى وحــدتى ومقــيلى

لم تطـــب لى دنيـــا الـــشقاء فوالهـــ

فى وشـــــوقى للعالـــــم المجهـــول

ويلبى القدر أمنيته المريرة فى عام 1951 بعـد أن غـرق فى بحـر اليـأس والحزن والأسى.